الفصل الثالث:

المُستودَع

كانت الصُّدفةُ السببَ الرئيس في مغادرة سليمان للبحرين. ذلك أن أحد أصدقائه السعوديين كان يَعمل سائقَ سيارةِ أجرة فتَعرَّض لحادث مروري، وهو ما حَمَل بلديةَ المنامة (التي كان تشارلز بلجريف قد أعاد تنظيمها مؤخَّرًا بحسب قواعد القوانين البريطانية) على منْعِه من القيادة لمدة شهر. وهذا ما دعاه إلى التفكير بالعودة إلى المملكة، ثم ناقش هذه الفكرة مع سليمان. وكان الشابان كلاهما قد سمِعا كثيرًا عن شركة الزيت التي كانت تعمل في المملكة، ولما اقترح هذا الصديق أن يعودا معًا خَطَر لسليمان أن هذا ربما يكون بداية لعملٍ أكثر مردودًا من العمل الذي كان يعمل فيه في "سِتْرَة". وفي نهاية الأمر، كما يقول سليمان، شجَّع الواحدُ منهما الآخرَ على العودة.

وعند ذلك، أي بعد أن قضى سليمان أربعة عشر شهرًا في العمل في شركة نفط البحرين، أبلغ سليمانُ الشركةَ بعزمه على ترك العمل فيها، وحَزَم متاعَه وعاد إلى المملكة. وفي الظهران، حيث اتخذتْ شركةُ الزيت منها مركزًا رئيسًا، أصدرت له الشركةُ بطاقةَ عَمَل تحمل الرقم أربعين، وكُلِّف بالعمل مراقبًا

للمواصلات، حيث كان يَعمَل في تسجيل دخول الحافلات والسيارات والشاحنات إلى موقف السيارات وخروجها منه. وكانت الأجور في المملكة أقلَّ بكثير منها في البحرين. لذلك قرر صديقُه دون إبطاء العودةَ إلى المنامة ليعمل مرة أخرى سائقَ سيارةِ أجرة، أما سليمان فقرر البقاء. ويعترف سليمانُ أن السبب الرئيسَ الذي حال بينه وبين التفكير بالعودة إلى البحرين أنه لم يكن واثقًا من إمكان عودته إلى العمل الذي كان يشتغل به في شركة نفط البحرين.

وقد حَصَلت شركةُ كاليفورنيا أريبيان ستاندرد للزيت "كاسوك" CASOC التي كان سليمان يعمل فيها على امتيازها الذي يَشمَل المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية بأكملها في سنة ١٩٣٣. وبعد ثلاث سنوات نَقَلتْ شركةُ ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا، كجزء من اندماج بعض فروعها الخارجية، نصفَ نصيبها من الامتياز إلى شركة تكساس، وهو ما فعلتْه في البحرين قبْل ذلك، لكنَّ شركة ستاندرد هي التي ظلَّت تتولى إدارةَ العمل وهي التي سيكون لإدارتها في سان فرانسيسكو فيما بعد أبلغُ تأثير في أسلوب التعامل مع موظفيها ومع الحكومة السعودية.

وكانت شركة "كاسوك" CASOC إبَّان التحاق سليمان بالعمل فيها سنة ١٩٣٧ قد انتهت من حَفْر ستّ آبار كانت تُنتِج مقادير ضئيلة من الزيت أو من الزيت المخلوط بكميات كبيرة من الماء.

وكانت قد بدأت في شهر ديسمبر من السنة السابقة في حفر البئر المشهورة بـ"الدمام رقم ٧" التي حُفِرت إلى أعماق بعيدة في التكوينات الصخرية. وكانت هذه البئر مشروعًا صعباً -ذلك أنها تعرضت لأعطال ميكانيكية متكررة، وإلى انهيار الصخور وإلى انحشار أنابيب الحفر فيها- لكن الحفرَ كَشَف في مارس ١٩٣٨، وعلى عمق يزيد بألفي قدم عن عمق أيٍّ من الآبار التي حُفِرت من قبْل، عن مصدرٍ غزير للزيت يتميز بالجودة والنقاء. ويُمثِّل هذا الحدَثُ اكتشافَ الزيت بكميات تجارية في المملكة العربية السعودية. وكان هذا الحقل البترولي الذي حُفرت فيه هذه البئر صغيرًا جدّا -فهو أصغرُ حقل مما اكتُشف من حقول الزيت في المملكة- لكنه تبيَّن فيما بعد أن الطبقة التي كانت تُنتِجه، وهي التي سمِّيت بالمنطقة العربية، تمثِّل الطبقة الرئيسة التي تحوي الزيت في حقول النفط كلها في المملكة.

وكان سليمان، إبان ذلك الاكتشاف التاريخي، قد نُقِل للعمل في مستودع الشركة. وكان يَعملُ هناك بشكل رئيس في صرف قطع الغيار والمواد -وغيرها، وهو ما يعني كلَّ شيء باستثناء الوقود- لمن يَطلب ذلك من منسوبي الشركة. ولم يكن في البداية واثقًا من رضاه عن هذا العمل، لكنه وَجد بعد ثلاثة أشهر أن هذا العمل ملائم جدّا. وكان من عادته أنه كلما صَرَف شيئًا من هذه الأدوات والمواد يسأل مَنْ يَطلبُها عن وجوه

استعمالها، وكان السباكون أو النجارون أو الكهربائيون أو مهندسو الحَفْر سعداء بإجابته عن سؤاله، ثم يَشرَحون له في الوقت نفسه العملَ الذي يقومون به. واستطاع بمرور الوقت حفظَ أسماء ٨٥٠ قطعة مع وجوه استعمالها - كما كان يعرف بدقة الأماكن التي تُوجد فيها هذه القطع في المستودع.

ولما أَخذتْ معرفةُ سليمان تتطوَّر فيما يَخص الأدوات والمعدات التي يحتاجها الناس، وجد أنه يستطيع في أحيان كثيرة، حين لا تتوفر القطعة المطلوبة، أن يقترح بديلاً أبسط لها، أو أن يقترح كيفية يمكن بها أن تعدَّل قطعةٌ أخرى لتأدية الوظيفة نفسها. أو ربما يحاول أن يكتشف مواد أخرى تتوفر في الولايات المتحدة ثم يطلبها. ومن الأمثلة المشهورة التي أشار إليها في أكثر من مقابلة معه، أنه طَلب مرةً لأحد الأطباء آلةً كاتبةً ذات قاعدة مقاسها ١٨ بوصة وحجم الخط فيها من مقاس Ruby وكان ما أثار سخطَ سليمان واستغرابه أن تُجيبه الشركةُ في سان فرانسيسكو ببرقية مضمونها "ما معنى كلمة Ruby"، فما كان منه إلا أن أجاب عن هذه البرقية قائلا: "انظر معناها في قاموس وبستر Webster". ولم يَكن مثل هذا الأسلوب غير المتحفِّظ الذي يَخرُج عن الطابع الرسمي للمكاتبات مسموحًا به في تلك الأيام. وهو ما أفْزَع رئيسَه في العمل، وجَعلَه يأمر سليمانَ بكتابة برقية يشرح فيها معنى كلمة ruby.

وهو الذي يتضمن تحديدًا لعدد الحروف التي تطبعها الآلة الكاتبة المطلوبة في البوصة الواحدة – وأن يكتب كذلك إجابة معدَّلة عن برقية المكتب الرئيس.

ومن الواضح أن العمل في أوامر الطلبيات أمر حساس. فقد حدث في إحدى المرات أن زادت من الكمية المطلوبة لإنجاز أحد الأعمال عشرُ حاويات صغيرة من الرصاص الأحمر الذي يُستعمل في إحكام الواصِلات بين الأنابيب، ولسبب مّا لم تُرجَع هذه الحاويات الزائدة للمخزون من هذه المادة. وأدى سحب هذه الكمية من المخزون إلى أن تطلب الشركة خمسين حاوية أخرى منها، ولما كان مكتب الشركة في سان فرانسيسكو، حريصًا على الاقتصاد في الإنفاق أثناء الحرب العالمية الثانية، فقد أرسل برقية يستفسر فيها عن إن كانت الشركة تحتاج حَقًّا إلى خمسين حاوية. وكان سليمان يَهم بأن يجيب بأن الطلب كان خطأ، لكن رئيسه لم يَسمح له بذلك. إذ قال له: "لا. لا. إننا لا يمكن أن نقول أبدًا إننا أخطأنا. ولا بد أن نعتذر بوجود "خطأ مطبعي" في الطلب. ولْنَقُل إن ما كنا نقصده حقيقةً أن تكون الحاويات من مقاس ٥×٥.

وبدأ سليمان يكتشف بالتدريج ما يسمِّيه بـ"الصورة الكبرى". إذ لحَظ الجديَّةَ التي يعمل بها الأمريكيون، وكيف يَبدون كأنهم جميعًا يعرفون ما يعملونه معرفة دقيقة، وكيف

يعملون كأنهم فريق. ومما لفت انتباهه وأثار إعجابَه ما كان يتحلّى به الأمريكيون من كرم وتواضع – وإن لم يكن يستطيع التغافل عن أنهم، كالبريطانيين، كانوا يُقْصون مساكنَهم وأكثر نشاطاتهم الاجتماعية عن الجنسيات الأخرى من العاملين في الشركة. وأخذ أثناء عمله في المستودع بالتفكير في المواد التي يعمل في صَرْفها. ومما لاحظه أنه يبدو أن كل نوع من المواد التي يتعامل بها كانت تَصنَعه شركةٌ مختلفة، وهي التي ربما كان لها موظفوها المتخصصون، ويَملكها، كما علِم فيما بعد، ملاّكُ الأسهم فيها. ثم أخذ يتفطَّن إلى مفهوم الجَوْدة، أي: كيف يبدو أن زبائنه يفضِّلون ما تَصنَعه شركةٌ على ما تصنعه شركة أخرى. ومرة أخرى، كان الأمريكيون، حين يسألهم عن السببِ الذي يجعلهم يفضلون ماركةً على أخرى، سعداءَ بتفسير ذلك له.

وكان أكثر ما لفت نظره ضخامةَ المستودع الهائلة. وهو ما جعله يَشعر بأن رأس المال الماثِل في ساحات المستودع في صورة أنابيب وأخشاب يفوق رأسَ المال الذي كان موجوداً في المملكة كلها –وربما كان محِقًّا في ذلك. وفي مساره الوظيفي ترقَّى ليَشغل وظيفةً عليا في المستودع وليكون مسؤولاً عن ما يقرب من أربعين أو خمسين من الموظفين السعوديين والبحرينيين والهنود، وجعله ذلك يشعر بمزيد من الحرص على المستودع– كما لو كان ملكَه هو تقريباً. وبدأ يفكِّر في مبلغ رأس المال الذي يَلزَم أن

يتوفَّر عند شخص أو شركة مّا لامتلاك هذا المستودع أو لتزويده بمحتوياته. ومن هنا كانت خطوةً قصيرة ليبدأ سليمان في الحلم بأحلام مثل: "ماذا لو كنت أملك هذا المستودع، أو كنت أملك الشركات التي يمكن أن تصنع هذه القطع كلها -كم سيكون دخلي اليومي؟" ويمثِّل هذا الحلمُ البذرةَ الأولى لاشتغال سليمان بالتجارة. فقد ألهمه المستودعُ فكرةَ تأسيس شركة خاصة به. وبدأ يفكر بدقة في التنظيم والعمل بروح الفريق، واللامركزية وإسناد المسؤولية. وأصبح همُّه الأولُ الاقتصادَ في الإنفاق. وتيقَّن أنه يجب على مَنْ يريد البدء في العمل بالتجارة أن يُلِمَّ بأدق التفاصيل للمشروع الذي ينوي تأسيسَه. ومما قاله لي عن ذلك: "لا أظن أنني كنت أستلهِم في السنين التالية ما سبق أن تعلمتُه خلال عملي في المستودع، في كل مرة أتخذ فيها قرارًا مهمًّا- لكنه كان في نهاية الأمر المَعينَ الذي استقيتُ منه أفكاري.... ولا يمكن لأحد أن يُقلِّل أبدًا مما كان يعنيه المستودع لي. لقد كان جامعتي التي تخرجت فيها. وكان المكان الذي رأيت فيه الرأسمالية وهي تَعمَل بشكلها الحقيقي أمام عينيَّ المجردتين".

وأثناء ما كان سليمان يشتغل في المستودع ("وكانت تسع سنين لم تَتخلَّلها لحظةٌ مملَّة واحدة"، كما يقول) كانت شركة "كاسوك" CASOC تعمل في تطوير مجال امتيازها خلال الظروف

الصعبة للحرب العالمية الثانية. فقد استطاعت في أبريل ١٩٣٩، أي بعد سنة من إكمال عملها في بئر "الدمام رقم ٧"، أن تَصِل بذلك الحقل إلى درجة العمل بكفاءة. وفي تلك السنة زار الملك عبدالعزيز المنطقة الشرقية وبصحبته حشدٌ كبير من المرافقين وجَذَب وجودُه عددًا كبيرًا جدًّا من البدو الذين حوَّلوا السهلَ المجاورَ للظهران إلى فضاء "أبيض بخيامهم"، كما يقول أحد موظفي الشركة الموجودين هناك في ذلك الوقت. وفي رأس تنورة التي تقع إلى الشمال من الظهران، واختيرت لتكون ميناءً لتحميل الزيت، أدار الملك عبدالعزيز الصمّامَ ليبدأ تدفق الزيت في حاملة النفط D. G. Scofield، وكان ذاك بدايةَ تصدير النفط السعودي. وارتفع إنتاج الزيت في الأشهر القليلة التالية إلى ١٤٠٠٠ برميل في اليوم، لكن الحرب العالمية الثانية بدأت في أوروبا في خريف تلك السنة وهو ما أدى إلى وقف التصدير المباشر للزيت. وقضت سياسةُ الحلفاء أثناء الحرب بأن تُزوَّد بريطانيا ومسارحُ العمليات الحربية في أوروبا، بقدر المستطاع، بالمشتقات النفطية المكرَّرة التي تُنقل عبر المحيط الأطلسي - وكان هذا الطريقَ الذي لا يُعرِّض ناقلات النفط لخطر الغواصات المعادية إلا لفترات قصيرة. ولم يرتفع إنتاج النفط السعودي فيما بين ١٩٣٩ و١٩٤٥ إلا قليلاً. وكان يُصدَّر منه ما بين ١٤٠٠٠ و١٨٠٠٠ برميل عن طريق الزوارق إلى البحرين ثم يُصدَّر من هناك عبر ميناء "سترة".

وفي أكتوبر سنة ١٩٤٠ هاجمت المقاتلاتُ الإيطالية التي كانت تنطلق من شرق البحر الأبيض المتوسط تجهيزاتِ الشركة في الظهران عن طريق الخطأ. ويعود هذا الخطأ إلى أن الطيارين رأوا أضواء مدينة الظهران فحسبوها أضواء المصافي في سترة. ولم يُحدِث ذلك الهجوم أضرارًا كبيرة، لكنه ذكَّر الأمريكيين، الذين لم يكونوا قد دخلوا الحرب حينذاك، بمدى قُربهم من مسرح العمليات في البحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا. وعند ذلك قررت شركة "كاسوك" CASOC ترحيلَ كلِّ الأمريكيين الذين لم يكن وجودهم ضروريًا؛ وهو ما أدى إلى نقص عدد موظفيها الأمريكيين من ٤٠٠ فرد أو يزيد إلى ٢٢٦ في نهاية السنة. ثم واجهتْ بعد ذلك، أي خلال سنتيْ ١٩٤١ و١٩٤٢، نقصًا حادًا في المواد، ونتج ذلك عن صعوبات النقل وتوجيه الإمدادات إلى جهود الحلفاء الحربية.

واستمرت الشركة في اكتشافاتها النفطية بشكل بطيء. وركزت جهودَها في المنطقة الجنوبية الغربية للظهران في منطقة بقيق. وفي فبراير ١٩٤١ اكتُشف الزيتُ في البئر التي أُطلق عليها "بقيق رقم ١" وكانت الكميةُ المنتَجةُ منها تفَوق بكثير ما كان يُنتج من حقل الدمام. وقد صَرَفتْ سلسلةٌ من المشكلات في حفر البئر الثانية، ومنها انحشار الأنابيب في البئر، النظرَ عن الاستمرار في عملية الحفر، لكنَّ عمقَها، قبل إيقاف العمل

فيها، كان قد وصل إلى حد يكفي لتبيين أنها كانت وصلت إلى عمق أقل في التكوينات الصخرية القِبابية من البئر الأولى التي تبعد عنها ميلين إلى الجنوب. وعندها اتخذ المهندسون في شركة "كاسوك" CASOC ما كان يبدو أنه قرار جريء وهو حفر البئر التالية على بُعد ثلاثة أميال شمال البئر الأولى. وبعد حفرٍ استغرق خمسة أشهر، وهو ما يستغرق شهرين في الوقت الحاضر، اكتُشف الزيتُ في هذه البئر في يناير ١٩٤٣. وكان دَفْعُ الزيت قويًّا جدًّا حتى إنه فاق قدرةَ آلات الشركة على قياسه. وبرهن الحقلُ الذي اكتشفتْه الشركةُ في نهاية الأمر على أن مساحته تبلغ ثلاثين ميلاً طولاً في خمسة أميال عرضا. وبرهنتْ كميةُ احتياط النفط فيه على أنه واحدٌ من أكبر ستة حقول نفطية مما اكتشف إلى تلك الفترة، بل كان أكبرَ من أيِّ حقل مما اكتُشف في نصف الكرة الأرضية الغربي. ولما طُوِّر ليَصل إلى مرحلة الإنتاج في أواخر الأربعينيات وصل إنتاج النفط منه إلى ١٨٠٠٠ برميل يوميًّا من كل بئر.

وكان لمرحلة بقيق ما وراءها. فبمجرد حصول شركة ستاندرد أويل على نتائج الحفر في البئر رقم ٣ اتصلت بحكومة الولايات المتحدة لإبلاغها برسالة مضمونها أن بين أيدينا الآن مصدرًا للنفط يسيطر عليه الأمريكيون ويمكن أن يُعزِّز مجهودات الحرب في المحيط الهادي تعزيزًا فائقًا. وكانت

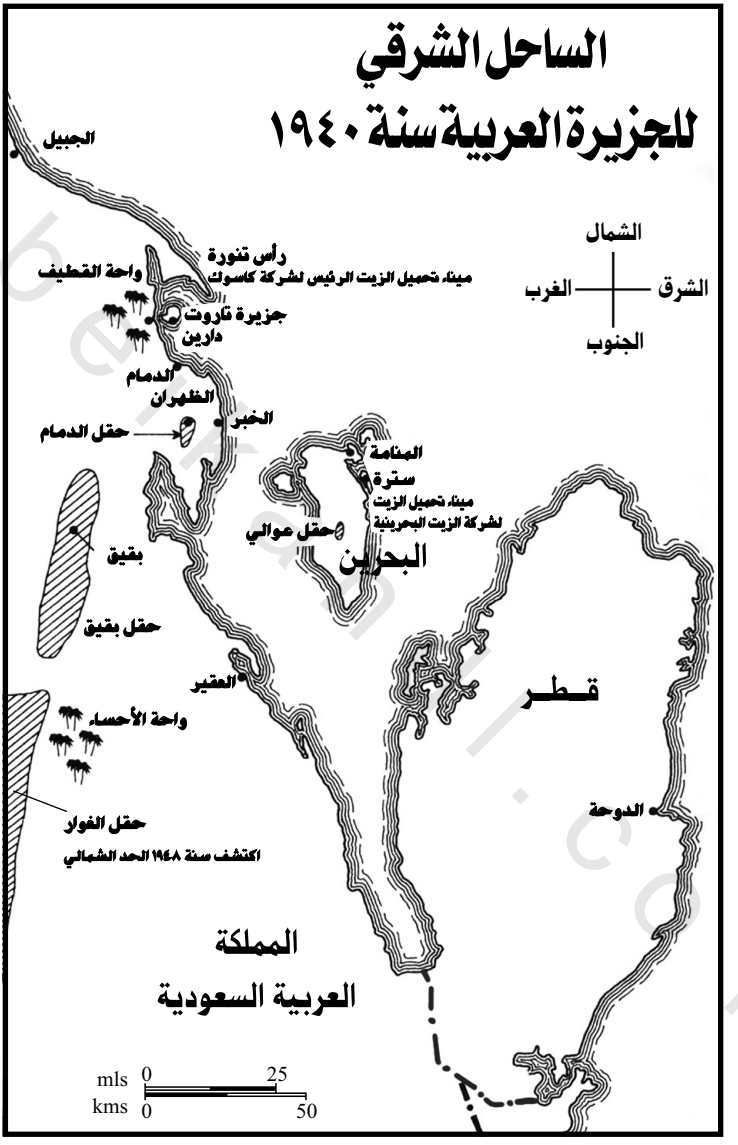
الساحل الشرقي
للجزيرة العربية سنة ١٩٤٠
الجبيل
رأس تنورة
ميناء تحميل الزيت الرئيس لشركة كاسوك
واحة القطيف
جزيرة تاروت
دارين
الدمام
الظهران
الخبر
حقل الدمام
الشمال
الشرق
الغرب
الجنوب
المنامة
سترة
ميناء تحميل الزيت
لشركة الزيت البحرينية
حقل عوالي
البحرين
بقيق
حقل بقيق
العقير
واحة الأحساء
حقل الغوار
اكتشف سنة ١٩٤٨ الحد الشمالي
قطر
الدوحة
المملكة
العربية السعودية
mls 0 25
kms 0 50

الحكومة الأمريكية في الثلاثينيات وأوئل الأربعينيات تنظر إلى المملكة العربية السعودية على أنها مكان بعيد جدًّا وأنها تنتمي إلى مجال النفوذ البريطاني. أما الآن فقد بدأت بالاهتمام المباشر بها. فقد أرسل وزير الداخلية حينذاك فريقًا من الجيولوجيين ومهندسي النفط إلى المملكة لتقدير الوضع تقديراً مستقلاً (عن ما تقوله الشركة). ثمّ تَأَهَلت المملكةُ للإفادة من مشروع الإعانة التي كانت تسمى بـ "إعانة الإقراض والتأجير" Lend-Lease Aid؛ وزُوِّدت بالمواد اللازمة لبناء مصفاة للبترول في رأس تنورة. وبَنَت شركةُ بكتل هذه المصفاة فيما بين ١٩٤٣ و١٩٤٦. وكان هناك بعضُ الحديث عن مشروع إنشاء خط أنابيب طولُه ألف ميل لإيصال النفط الخام من المملكة إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط. وشهدت الفترة بدايةً من أواسط سنة ١٩٤٣ تدفقًا كبيرًا للأفراد والإمدادات إلى المملكة. ووصل تدفُّق المواد حدًّا عاليًا حتى إنه لم يُتِح وقتًا كافيًا لشركة "كاسوك" CASOC يمكِّنها من بناء رصيفٍ بحريٍّ عميق: وهو ما جعلها تنقل الإمدادات إلى الساحل عن طريق الزوارق.

وكان سليمان في المراحل الأخيرة من الحرب يَشتغل بأكثر من عمله في المستودع. فقد استمر، منذ بداية عمله مع شركة "كاسوك" CASOC، في نشاطه الدائب لإجادة اللغة الإنجليزية. وكان يشاركُه الغرفةَ التي يسكن فيها في المبنى المخصَّص في

الظهران لسكن العاملين السعوديين في الشركة، رفيقٌ يُحبُّ الأدبَ العربي ويقرأ الإنجليزية بشكل جيد. وكان الرفيقان يقضيان وقتَهما في مقارنة النسخة العربية من "مجلة المختار" بالمجلة الأمريكية Readers Digest المترجَمَة عنها. وكان سليمان يقرأ المختارَ ويترجمها إلى الإنجليزية بصوت عال، ويقوم رفيقه في أثناء ذلك بمقارنة ترجمة سليمان بالأصل الإنجليزي.

وأخذ سليمان يطوِّر من مهاراته في اللغة الإنجليزية بالحديث مع الأمريكيين في المجمَّع السكني. وقد وجد أن كثيرًا من الأمريكيين لا يختلطون إلا بأبناء جِلدتهم، لكن بعضًا منهم كانوا يأتون إلى سكن السعوديين ليتعلموا شيئًا قليلاً عن الثقافة العربية – وربما يأخذ هؤلاء، في الوقت نفسه، في الحديث عن الولايات المتحدة. وكانوا يطلبون من سليمان أحيانًا أن يشتري لهم ما يحتاجونه من المشتريات البسيطة وأن يحوِّل شيكاتهم بالدولار إلى روبيات. وكان ذلك يحدث في فترة لم يكن يُسمح فيها غالبًا للأمريكيين بالذهاب إلى مدينة الخُبَر أو إلى مدينة الدمام. وكانوا يستطيعون الذهاب إلى ميناء الخبر ليَستقلّوا المراكبَ إلى البحرين أو لإرسال رسالة ليُبرَق بها من هناك، أما إن أرادوا الذهاب إلى الخبر والدمام فيَلزمهم الحصول على إذن من مدير الإدارة المقيم، وكان في أواسط الأربعينيات جيمس ماكفيرسون، وهو ثاني اثنين كانا أعلى موظفَيْن قياديَّيْن في

الشركة. ولم يكن ماكفيرسون يأذَن لأحد عادةً إلا بعد أن يُخبِر أميري المدينتين ورئيسي الشرطة فيهما بذلك. وكان دافعُه لذلك علمَه بأن الملك عبدالعزيز كان يخشى من نفور المواطنين من رؤية الأجانب. وللسبب نفسه كان الملك عبدالعزيز يُصِرّ، حين يريد ماكفيرسون أو مديرُ الشركة العام فلويد أوليجر الذهابَ إلى الرياض، على ألا يصطحبا أكثر من أمريكي واحد وأن يَرتَديا الملابسَ العربية. وكان الملك عبدالعزيز، مثل أبنائه من بعده، واعيًا جدًّا بأن كثيرًا من المواطنين السعوديين عميقو التَّدين وينفرون من الأجانب، وكان حريصًا على ألا يُؤثر الأجانبُ أو الثقافةُ الأجنبية بشكل سافر على المجتمع السعودي. ويكمن خوف الحكومة في ذلك الوقت ومنذ ذلك الوقت في احتمال أن يكون التأثير الأجنبي الزائد عن الحد سببًا في إثارة رد فعلٍ محافظ يمكن أن يتسبب في إعاقة تدفق عائدات النفط وتطور المملكة.

أما سليمان فكان بإمكانه، بالطبع، أن يذهب حيث يشاء. وكان يأخذ شيكات الأمريكيين إلى الصراف الذي يدفع ما يقابلها بالروبيات والريالات. وكان يشتري مختلف البضائع، وأكثرها مستورد من تجار الحجاز، ويبيعها من ثَمَّ على أصدقائه الأمريكيين وزملائهم. ومن أنواع البضائع التي درَّت عليه عائدًا جيدًا ولاعةُ سجائر ذات غطاء يَمنَع الريحَ من إطفاء شعلتِها،

ومنها الغُتَر والعُقُل التي كان الأمريكيون يرغبون في شرائها ليرسلوها هدايا إلى أهليهم. وكان يتقاضى ربحًا متواضعًا من عمليات الشراء وصرف الشيكات تلك، لكن مجموع تلك الأرباح، كما يقول "كانت كبيرة"، لهذا استطاع أن يحصل منها على دخل جيد يضيفه إلى راتبه.

كما أسندت الشركةُ نفسُها إلى سليمان عملاً إضافيًّا بصفة مترجم، وغالبًا ما كان ذلك في أمور تتعلق بتعاملها مع الملك عبدالعزيز. ويروي روبرت مارش، الذي كان حينذاك موظفًا صغيرًا في قسم العلاقات الحكومية وعمِل بعد ذلك بمدة طويلة مع سليمان، أنه قابل سليمانَ للمرة الأولى في يناير ١٩٤٧ حين ذهب إلى المستودع برسالة طويلة كان فلويد أوليجر ينوي إرسالها إلى الملك عبدالعزيز. وكان أوليجر قد أبلغَ مارش بأنه سيَجد في المستودع رجلاً اسمُه سليمان العليان، وأنه يجب عليه إبلاغه بأن هذه الوثيقة مهمة وأن الشركة تَحتاج إنجازَ ترجمتها بسرعة. ولما وصل مارش إلى مكتب سليمان وجد شابًّا ضئيل الجسم نحيفا، واكتشف أنه هو الشابُّ نفسُه الذي استعانت به مدرّسةُ الجبيل للبنين قبل أسابيع في الترجمة في حفل استقبال الملك بمناسبة زيارته الثانية للظهران. ومما أثار إعجاب مارش أثناء حديثهما أن هذا الشاب كان يبدو على اطلاع جيد بما يحدث في الشركة. وبعد أن شرح مارش

المطلوب أجابه سليمانُ فورا: "نعم، ثم إني أفترض أنهم يريدون إنجاز هذه الترجمة أمس، أليس كذلك؟"

فأجابه مارش: "نعم، هذا بدقة ما طُلب مني إبلاغك إياه"، وكان سعيدًا بأن يجد موظفًا يبدو عليه أنه يَفهَم أهميةَ سرعة العمل في شركة أمريكية.

ثم قال سليمان: "حسنًا، سأعمل جهدي، لكنني أعرف أنهم كانوا يعملون في كتابة هذه الرسالة طوال الأيام العشرة الماضية".

وكان يُطلب من سليمان على فترات منتظِمة أن يَرافق ماكفيرسون أو أوليجر لزيارة الرياض. وكانت المهمة الأولى له في هذا السبيل حين بدأت شركة "كاسوك" CASOC العملَ في بناء مصفاة رأس تنورة.

وبعد ذلك بفترة قصيرة سافر ماكفيرسون وسليمان إلى الرياض لإطلاع الملك على أن شركتين أخريين هما ستاندرد أويل أوف نيوجيرسي (التي سُمِّيت فيما بعد بـ "إكسون" وتُعرَف الآن باسم "إكسون موبيل كوربريشن") وشركة سوكوني فاكوم أويل (التي سميت فيما بعد بـ "موبيل" واندمجت الآن مع إكسون) تريدان الاشتراك في امتلاك شركة "كاسوك" CA-SOC، وهي التي أُطلق عليها حينذاك اسم "شركة الزيت

العربية الأمريكية" (أرامكو). وطلبا منه إبداء الرأي والإذن بذلك. ثم طلب الملك منهما أن يعودا إليه في الغد وحينها بارك هذا الاقتراح - وهذا ما توقعاه إذ سبق للملك أن طلب من ماكفيرسون رأيَه في هذا الموضوع وقد أبلغ هذا الملكَ بأنه سينتُج عن عَمَل الشركات الأربع معًا أن تكون الموارد المتوفرة للمملكة "غير محدودة". وفي رحلة العودة إلى الظهران التي استغرقت أربعًا وعشرين ساعة قال ماكفيرسون لسليمان: "تذكَّر كلمتي التي سأقولها لك يا سليمان. إن هذا اليوم من أيام التاريخ المشهودة". وفي مايو ١٩٤٦ بدأت إكسون وموبيل المفاوضات مع شيفرون وتكساكو، وفي نوفمبر ١٩٤٨ انتهى التفاوض بين هذه الشركات لتبدأ الشركتان من ثَمَّ بشراء أسهم في شركة أرامكو. وحصلت موبيل بموجب اتفاق التملك الجديد على ١٠٪ وحصلت كل واحدة من الشركات الثلاث الأخرى على ٣٠٪.

والمحادثة الأخرى مع الملك التي عمل سليمان مترجِمًا فيها كانت بعد نهاية الحرب مباشرة حين طلبت الشركة الإذنَ بِمدِّ خط حديدي من الظهران إلى بقيق. وقد أعطى الملكُ الإذنَ بذلك لكنه طلب أن يستمر الخط إلى الرياض. ثم أعارت أرامكو سليمانَ لمرافقة ستيف بكتل الأب في سفره إلى الرياض لزيارة الملك والعَرضِ عليه أن تقوم شركة بكتل ببناء مطار

وتأسيس شركة كهرباء في الرياض وبناء ميناء في جدة. وقد سمح الملك بتنفيذ تلك المشاريع كلها.

وفي الأشهر الأولى من سنة ١٩٤٧ ترك سليمان العملَ في المستودع ليعمل بشكل كامل في الترجمة والبحث. ونُقل فيما بعد إلى قسم العلاقات الحكومية وأبحاث الجزيرة العربية تلبية لرغبة جورج رينتس المُلحَّة. فقد كتب رينتس في خطاب مؤرخ في ١٦ يناير ١٩٤٧ أنه يرغب في أن يعمل سليمان معه لا لقدرته في الترجمة وحسب بل لأنه نجدي، كذلك، أو كما قال: "إنه ربما يكون أفضلَ متعلِّم نجدي يَعمَل في الشركة – وأنا أشعر أنه ينبغي أن يكون في قسمنا موظف نجدي واحد في الأقل، خصوصًا من أجل الترجمة في الاجتماعات مع شخصيات مثل سعود بن عبدالله بن جلوي أمير المنطقة الشرقية الذي كان لا يرتاح كثيرًا إلى الحديث مع أي عربي لا يكون نجديا. وسيكون الموظفُ النجدي ذا فائدة عظيمة في البحث وفي العمل في صياغة الاتفاقات التي نعمل فيها. ذلك مع أن وجود سليمان مهمٌّ في عمله في المستودع". وأنهى رينتس خطابَه بقوله: "إنني أظن أن بإمكاننا الحصول على موافقتكم على نقله من المستودع، خصوصًا أنه يتقاضى راتبًا عاليًا نظيرَ عمله في المستودع يفوق الراتب الذي يمكن أن يتقاضاه موظف آخر يستطيع القيام بذلك العمل كما يبدو أنه لن يكون هناك مجال، لهذا السبب، لإعطائه علاوات أخرى".

وحصل رينتس على الرجل الذي كان يريده، ثم زِيد راتبُ سليمان إلى ١٢٥ دولارًا في الشهر، وهو مبلغ كبير جدا. ثم بدأ العملَ في بحث كان الهدفُ منه تحديدَ ديار القبائل المختلفة، وكان لهذا المشروع صلة بالخلافات الحدودية بين المملكة وإمارة أبوظبي. وساعد سليمانُ أرامكو في بحثها من أجل تحديد أسماء الجبال والآبار والهِجَر على الخرائط التي كانت ترسمها، وهي التي حَرِص رينتس على ألا تغلب عليها السمة الأمريكية (أي ألا تكتب أسماؤها بطريقة خاطئة). وكان العمل في هذا القسم يُكسِب من يَعمل فيه شيئًا من المكانة، لكن سليمان لم يستمر فيه طويلاً. ذلك أن التطور الذي تحقق في إنتاج البترول في المملكة وصل حَدًّا يُمكِن أن يُوفِّر له فرصةً للعمل بشكل مستقل.

❖ ❖ ❖

وفيما بين ١٩٣٧ و١٩٤٧ – وهو العِقْد الذي قضاه سليمان في العمل في شركة "كاسوك/أرامكو" CASOC/Aramco. أحدثت الشركةُ تغييرًا كبيرًا في نمط الحياة في المنطقة الشرقية. ذلك أنه لمّا عَبَر جيولوجيو الشركة وحفَّاروها المياهَ قادِمين من البحرين في منتصف الثلاثينيات وجدوا المنطقة الشرقية تشبه منطقةَ نَجْد في الفَقْر. أما في أواخر الأربعينيات فقد كانت بعضُ المشاريع الكبيرة للبنية التحتية قد أُنجِزت أو كانت في طريقها للإنجاز، وكان قَدْرٌ كبير من الأموال، بمقاييس

تلك الفترة، قد "بدأ يَصل" إلى أيدي المواطنين السعوديين، وكان من نتائج العمل في تلك المشاريع أن توفر عدد لا بأس به من العمال المَهَرة وأشباه المهرة. وكان مُعظَم ذلك التغيير نتيجةً طبيعية لوصول شركة حديثة كبرى إلى المنطقة وإنفاقها للأموال فيها؛ كما وضعت شركة "كاسوك/أرامكو" CASOC/Aramco من بين أهدافها تحسين ظروف حياة السكان المحليين ومساعدة المقاولين السعوديين المبتدئين في تأسيس أعمال خاصة بهم.

ومن أهم الأعمال التي قامت بها الشركة الارتقاء بالمستوى الصحي والغذائي للسكان. فقد أُسستْ لهذا الغرض مستشفى لعلاج العاملين فيها - الأمريكيين والسعوديين على حد سواء. وكان المسؤولون في الشركة يرون، في بداية الأمر، أن المشكلات الصحية التي كان يعاني منها سكان المنطقة على وجه العموم كثيرة جدًّا وخطيرة وهو ما أدى بهم إلى الشعور بأن طاقة المستشفى لن تكون كافية لمعالجتها، لكن هؤلاء المسؤولين بدأوا، مع تزايد عدد الساعين إلى طلب العلاج من غير العاملين في الشركة، يبذلون ما يستطيعونه لمساعدة الجميع.

وقد بدأت جهود الشركة في تحسين الحالة الغذائية للعاملين فيها بعد اجتماع عَقدتْه لجنةُ العمل الميداني في ١٩٤٦، وهي لجنة يُناقِش فيها ممثلو الأقسام المختلفة في الشركة بعض الأمور كالسكن وتعليم اللغة العربية للأمريكيين وتدريب العمال

السعوديين. فقد كانت هذه اللجنة تناقش في أحد اجتماعاتها قضيةَ التدريب وحينها تَدخَّل طبيبُ الشركة، أليكس ألكساندر، قائلا: "إني لا أفهم السبب الذي يجعلكم تناقشون مسألة تدريب هؤلاء العمال، إنهم لن يظلوا معكم لفترة طويلة".

وعند ذلك هب الجميع بصوت واحد، كما يروي روبرت مارش الذي حَضر الاجتماعَ وكان يُدوِّن الملحوظات لفلويد أوليجر، قائلين: "ماذا تعني بذلك؟"

فأجاب الدكتور قائلا: "حسنًا، إنهم جميعًا مصابون بالجدري، وكثير منهم مصاب بالتراخوما، وكلهم ضعفاء البِنْية ومصابون بالهزال".

وعندها قال جيمس ماكفيرسون الذي كان يرأس الاجتماع: "أُقسِم أننا سنغيِّر ذلك كله. لسوف نقدم لهم اللحم والبطاطس. قدِّموا لهم وجبة غداء".

وفي تلك اللحظة تساءل أحد الحاضرين، وكان من قسم المحاسبة، قائلا: "أتعني أننا سوف نقدم لهم الغداء مجاناً؟"

فقال ماكفيرسون: "نعم هذا ما أقصده" – وبعدها أُخذتْ أوامره إلى حيِّز التنفيذ. ومن هنا بدأت الشركة في تقديم وجبة كاملة يوميًّا للعاملين فيها، وهي الوجبة التي أُطلق عليها حينذاك "إطعام السعوديين وقت الظهيرة" Saudi Noonday

Feeding وهو اسم غير لائق سياسياً. ثم صارت الشركة فيما بعد تتقاضى ثمنًا رسميًّا زهيدًا مقابل هذه الوجبة حتى لا تبدو كأنها صدقة.

واشتُهرت تلك الوجبة التي كانت تتكون في العادة من اللحم والأرز والخضروات، وشجعت الفلاحين في القرى حول القطيف على البدء في زراعة الجَزَر والسبانخ وأنواع الخضروات الأخرى. كما لوحظ مع مرور الوقت أن العاملين السعوديين أخذوا يطلبون من زوجاتهم أن يطبخن لهم وجبات مماثلة لوجبة الغداء التي يتناولونها في الشركة.

ونتج عن وجود المستشفى وبرنامج الغذاء وارتفاع الدخل، في فترة وجيزة، تحسنٌ كبير في صحة المواطنين وفي أوزانهم ومستويات أطوالهم. ذلك أن متوسط وزن العامل في شركة "كاسوك" كان في أواسط الثلاثينيات ١١٢ رطلاً؛ أما في نهاية الأربعينيات فقد ارتفع إلى ١٥٠ رطلاً.

وقامت شركةُ "كاسوك" بمبادرة منها، من ناحية، واستجابةً لطلب من الملك عبدالعزيز، من ناحية أخرى، بتنفيذ عدد من المشاريع الاجتماعية والاقتصادية التطويرية. إذ شقَّت بعضَ الطرق وأنشأت بعض المدارس ونفذت برنامجًا لمكافحة الملاريا، وحفرت بعض الآبار، وبدءًا من سنة ١٩٤١، ساعدتْ في تطوير

واحة الخَرْج القريبة من الرياض، حيث يمكن رؤية المياه في قيعان الكهوف الكبيرة المفتوحة في طبقة من الحجر الجيري. وكان عمل الشركة في مشروع الخرج الذي كان الملك يهتم به اهتمامًا كبيرًا جدًّا يَتمثَّل في تركيب آلات استخراج الماء (المواطير) وبناء القنوات وتمديد شبكة من أنظمة الري. وكانت الشركة تقوم بالتخطيط للمشروع والإشراف عليه بمقابلٍ تدفعه الحكومة في حين تتكفل الحكومة بتوفير العمال.

ومن العوامل التي أثَّرت جزئيًّا في سياسة الشركة ما حدث لشركات البترول الأمريكية قبل سنوات قليلة في المكسيك. ذلك أن تلك الشركات لم تكن تهتم بتحسين الظروف المعيشية في البلد المُضيف إلا بقدر ضئيل. وكانت علاقاتها مع الحكومة المكسيكية سيئة، وهو ما نتج عنه تأميمها في الثلاثينيات.

وقد جاء المسؤولون في شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا إلى المملكة وتجربة الشركات الأمريكية في المكسيك ماثلة في أذهانهم. وكانوا يعرفون أن شركتهم كانت تستثمر استثمارًا كبيرًا في المملكة ومعرَّضًا للمُخاطَرة، لذلك كانوا يريدون الاستمرار في العمل مع الحكومة السعودية إذا ما اكتُشف الزيت. ولعل ما ساعدهم في ذلك أنه لم يكن لبلادهم تجربة سابقة في هذا الجزء من العالم الذي وجدوا أنفسهم

فيه. وعلى خلاف الأمريكيين في أمريكا اللاتينية، أو بريطانيا في الخليج العربي، لم يكن هؤلاء الأمريكيون يحملون أفكارًا مُسبَقة عن الطريقة التي يجب عليهم اتباعها في التعامل مع السكان المحليين، كما أن السعوديين، من جهتهم، لم يكونوا يَرون أن القادمين الجدد يُضمِرون شيئًا من المطامع الاستعمارية. وقد تعامل الأمريكيون مع السعوديين بطريقة صريحة واضحة ودودة؛ وتعاملوا مع ما يظهر على الشخصية السعودية من نفور قوي من الأجانب كأنه غير موجود. وقابل السعوديون هذه المعاملة بمثلها. ومن هنا نشأت بين الطرفين رابطة لم يَتوقَّع أحد نشوءها. ويمكن أن نلحظها في الوقت الحاضر في العلاقات بين الطرفين على المستوى الحكومي، وأوضح ما تكون على مستوى المجتمع في المنطقة الشرقية، حيث نشأت طبقة من المهنيين في صناعة الزيت ومن رجال الأعمال تتصف، من حيث تقاليد العمل، بأنها تكاد تكون أمريكية بقدر ما هي سعودية. ولم يكن هناك شك، منذ الأربعينيات إلى أواسط السبعينيات، حين بدأت الحكومة في تملُّك أرامكو، أن العلاقات بين الشركات التي تملك امتياز الزيت والبلد المضيف كانت أفضل في المملكة من أي قطر آخر في المنطقة.

وربما يعود السبب أيضًا إلى أن شركة "كاسوك" كانت محظوظة في أيامها الأولى إذ وجدت عددًا وافرًا من الموظفين

الأمـريكيين ذوي القـدرات الاسـتثنائيـة القـادرين على التـأقلم والاندمـاج بسـهولة لكي ترسلهم إلى المملكة العـربيـة السـعودية. ويتحدث فيليب مكونيل الذي عمل في الشركة في تلك الفترة، في كتاب ألَّفه عن تجربته في العمل مع شركة "كاسوك" في أوائل الأربعينيات ("الرجال المائة"، دار كارير للطباعة ١٩٨٤، The Hundred Men, Carrier Press, 1984)، عن خِصْلتيْ حسِّ اللياقة وحب الآخرين اللتين كان يتمتع بهما زملاؤه في الشركة، وعن الاحترام الذي كانوا يُظهرِونه للمحتاجين إلى المساعدة التي يمكن للشركة أن تقدمها. ومما كتبه: "إنني سعيد بأنني لم أجد حدودًا فاصلةً يمكن وضعُها بين الاهتمام الشخصي المتنوِّر وحب الآخرين والاهتمام بهم. بل إني أشك في إمكان وضع مثل هذه الحدود".